

مثالية السعادة لدى الكلية

سارة حسين كامل علي (*)

مقدمة :

كانت الكلية على يقين من أن سقراط توقف عند نقطة ما كان له أن يتوقف عندها، بل كان يتعين عليه أن يمضي إلى نهاية الطريق، لكنه للأسف لم يفعل، لقد قال إن الفضيلة معرفة، ولكنه توقف هنا ولم يحدد لنا طبيعة ولا نوع هذه المعرفة. هناك حلقة مفقودة عند سقراط: قال إن الفضيلة هي الغاية الوحيدة في الحياة، فما هي الفضيلة بالضبط؟ لم يقدم سقراط إجابة شافية هنا؛ لأن التعريف الذي قدمه هو أن الفضيلة هي المعرفة، ولكن عند التمعن في هذا القول نجد أنه ليس تعريفاً للفضيلة على الإطلاق، الفضيلة هي المعرفة، ولكن معرفة بماذا؟ معرفة بالفضيلة، ومن ثم ننتهي إلى أن الفضيلة لدى سقراط هي معرفة بالفضيلة، حيث أصبحت مهمة الفيلسوف الكلي تزويدنا بمعايير للحياة السعيدة، لكن الكلية رغم كونها فلسفة ثورية لم تكن فلسفة صدامية تحاول تغيير الواقع المؤلم بالعنف والقوة، بل كانت فلسفة سلبية انسحابية، فقدت الأمل في الإصلاح الخارجي للواقع، فجعلت همها الأكبر في إصلاح الفرد من الداخل. كانت حركة تقهقر المرء إلى ذاته يبحث داخلها عن الأمان المفقود في الخارج، فمع ضياع الحريات الفردية في هذا العصر المضطرب، أصبحت الغيبة عن الحياة الواقعية والسلبية واللامبالاة من أهم خصائص الحياة الفكرية في هذا العصر؛ لذا جعلت الكلية مثلها الأعلى للسعادة في الانسحاب الكامل من الحياة، وتقوقع الإنسان على نفسه، وسعيه إلى البحث عن السعادة في داخله، من خلال البعد عن كل ما ينغص عليه هدوءه النفسي واستقلاله العقلي. لقد كان الكليون من أزهق زهاد هذا العصر، لا يكثرثون لشيء، ولا يطلبون شيئاً، ولا يملكون شيئاً.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [مفهوم السعادة عند التيار السقراطي بين المادية والمثالية] تحت إشراف: أ.د. محمود السيد مراد - كلية الآداب - جامعة سوهاج & أ.د. شرف الدين عبد الحميد أمين - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

مشكلة الدراسة:

- ◀ ما علاقة السعادة الانسانية بالحكمة لدى المدرسة الكلية؟
- ◀ كيف كانت نظرة المدرسة الكلية إلى الحكيم بوصفه الإنسان كامل السعادة؟
- ◀ هل السعادة هي الفضيلة الأخلاقية لدى المدرسة الكلية ؟
- ◀ هل توجد علاقة بين السعادة والأخلاق العملية؟
- ◀ كيف أثرت نظرية المدرسة الكلية في السعادة البشرية على فلسفة الأخلاق اليونانية؟

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة الفلسفية التي هدفها تحقيق الكمال الروحي و الاخلاق من خلال ممارسة نبذ الملذات وتلبية احتياجات الجسد بعض الفكر المتعلق ، فالخير (أو السعادة) في نظرهم يتوقف على أن يكون المرء مكتفياً بذاته، ولا شك أن الاكتفاء الذاتي موقف عقلي، وأن تحقيق هذا الاكتفاء لا يكون فقط بالتححرر والاستقلال عن أي سلطان داخلي أو خارجي، بل ببذل المجهود الإيجابي في تحقيق هذا الاستقلال، فالخير كله إنما يكون في اقتناء الضروري من الأشياء

أهداف الدراسة :

١. توضيح الأخلاق السعيدة و الروح الانساني
٢. الابتعاد عن الرذائل و الرضى بقضاء الله و السعي بالفضائل بين الناس
٣. الثقة والثبات بالنفس دون اتصافه بالعدوانية

تساؤلات الدراسة :

١. هل السعادة المثالية لها أهمية كبرى لدى الكلية؟
٢. ما تعريف الزهد لديهم؟
٣. هل الأعتداد النفسي يدعوا بالتفائل و الامل لدى الكلية ؟

منهج الدراسة :

اعتمد على المنهج التحليلي في العرض، والمنهج المقارن والمنهج النقدي في وضوح الدراسة

إطار البحث :

"وسائل تحقيق السعادة"

للجانب النظري للفضيلة (السعادة) كما قدمتها الكلية من خلال تناول الأسس التي تركز عليها السعادة عندهم

الزهد

ضد الرغبة والحرص على الدنيا، ومادتها اللغوية زهد يزهد زهدًا فهو زاهد من الزهادة، وقد ترد بمعنى الرخيص والقليل والحقير وما إلى ذلك ... الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، وهو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف أو كما قال سفيان الثوري (الزهد في الدنيا قصر الأمل)^(١)، في حين يسمى الزهد موقفًا وطريقة حياة هدفها الكمال الأخلاقي والروحي للإنسان من خلال التخلي عن الملذات وممارسة الحياة التقشفية. بهذا المعنى يكون الزهد أسلوب حياة تتخلص فيه من وسائل الراحة المادية والكماليات، وتتخلى عن تلبية احتياجات الجسم، وتحاول ترويض عواطف الروح. على هذا النحو فإن الممارسات المرتبطة تاريخيًا بالزهد هي العزوبية في إشارة إلى تجنب الجسد، والصوم مما يشير إلى الامتناع عن الطعام، وبالمثل يمكن أن يكون الزهد انسحابًا من العالم؛ ليعيش حياة منفصلة في زراعة الروح^(٢).

انتشر الزهد داخل المجموعات الوثنية والدينية، والطوائف اليهودية والمسيحية والمدارس الفلسفية كالفيثاغورية، والكلبية، والرواقية، والأبيقورية. من اللازم التذكير أولاً برغبة العرافين والرهبان والفلاسفة في تحقيق "الانضباط الذاتي" عن طريق إضفاء مثل زهدية على حياتهم^(٣)، وتبني أفكار وممارسات تقشفية ذات علاقة بنظرة معينة للذات وللآخرين وللحياة. وهناك اختلاف بين زهد رجال الدين وزهد الفلاسفة؛ فقد يكون الأول يهدف إلى إنكار الذات، والثاني يتعلق بالالتحاق بذات النفس لكونها موضوعًا، وغاية للتقنية في الح و اكتفوا بالحد الأدنى من الأشياء

(١) اندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الثالث ، تعريب خليل احمد خليل ، منشورات عويدات، بيروت -باريس، ٢٠٠١م، ص ٢٠١.

(٢) عبد الرحمن عبد الجبار الفريواني: كتاب الزهد للأمام وكيع بن الجراح، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٩٨٤م، ص ١٢٣.

(3) Leo Strauss & Joseph Crapsey: History of political philosophy, The University of Chicago press, London, 1987, p 96.

الضرورية، وسكنوا بيوتاً متواضعة، وترفعوا عن الثروة والجاه والحسب والنسب؛ لأنهم اعتقدوا أن السعادة إنما تكون في الزهد عن متاع الدنيا، وإنها رهن بإشباع ما هو ضروري فقط من تلك الأشياء، فالخير (أو السعادة) في نظرهم يتوقف على أن يكون المرء مكتفياً بذاته، ولا شك أن الاكتفاء الذاتي موقف عقلي، وأن تحقيق هذا الاكتفاء لا يكون فقط بالتححرر والاستقلال عن أي سلطان داخلي أو خارجي، بل ببذل المجهود الإيجابي في تحقيق هذا الاستقلال، فالخير كله إنما يكون في اقتناء الضروري من الأشياء، وأما الشر فيمكن في التكاليف والحصول على أكثر مما يتطلبه الإنسان.^(١) لذا عدّ ديوجين كثرة المال وحبه هو المدينة الأم للشرور كافة^(٢).

من الحكمة في رأي الكلية جعل اللذة شراً خالصاً، وعلينا احتقارها دوماً^(٣). حدث مرة أن انضم ديوجين الكلبي إلى جمع غفير من الناس كانوا في طريقهم إلى مباراة في ألعاب القوي، فسأله أحدهم: هل أنت ذاهب متفرجاً؟ فأجاب ديوجين: لا إنني ذاهب متبارياً فتهمك الغريب متسائلاً: وأي نوع من الألعاب تنوي الاشتراك فيه؟ فأجابه: العدو والمصارعة، فأنا أسرع عداء فراراً من اللذة، وأقوى مصارع للألم.

استقلال الرأي و الاعتداد بالنفس:

رددت الكلية ما قاله سقراط بأن الفضيلة معرفة، لكنها اختلفت معه في تأكيده على أنها غير قابلة للتعليم بل مفطورة في نفسها بالطبيعة. أما هم فقد أكدوا على أن الفضيلة قابلة لتعلم. والواقع أن ما أثار إعجاب الكلية ليس سقراط رجل العقل ورجل العلم والفيلسوف، بل سقراط الإنسان ذو الشخصية المستقلة التي تتبع أفكاره الخاصة عن الحق بصرف النظر عن آراء الآخرين، وهذا الاستقلال كان في الواقع مجرد نتاج ثانوي للحياة السقراطية، أما هم فجعلوه أساساً من الأسس التي تقوم عليها السعادة في هذه الحياة.

(١) ثناء جمال الدين : السعادة عند أرسطو ، ص ١٩ .

(٢) ديوجين اللانرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثاني، الكتاب السادس، فقرة ٥٠، ص

٥٠.

(٣) هنري توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة متري أمين، مراجعة زكي نجيب

محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٣٥ - ١٣٦

لئن كان سقراط قد رأى أن المعرفة لا تكون ذات أهمية مالم تكن معرفة بالفضيلة، فقد غالى الكليون في هذه النقطة حتى احتقروا كل الفنون والعلوم، وصرح انتستائيس أن الفضيلة تكفي وحدها لتحقيق السعادة، وهي عنده عمل لا يفتقر إلى العلم إن المسألة مسألة فعل ولا يقتضى هذا كثيرًا من الكلمات أو كثيرًا من المعرفة.^(١)

لقد كانت غاية الكلية هي الحياة السعيدة التي يمكن أن تتحقق في العيش وفقا للطبيعة، وهي الشكل الوحيد للعيش الذي يمكن أن تتحقق فيه ذات الإنسان الحرة. وتحقيق الذات هذا هو أن يحيا الإنسان عيش السمو أو عيش الفضيلة، والطريق إلى عيش الفضيلة هو تحرير النفس من الثروة والسلطان والشهرة، والتي لا قيمة لها في الطبيعة، والتخلي عن الأحكام الكاذبة التي تسبب الانفعالات السلبية والمعاناة، وكي يتحقق هذا كان لزامًا أن يُنبذ الموروث اليوناني المعاصر لهم باستعمال العقل.^(٢)

ليظهروا استقلالهم تحدوا الرأي العام، وأبدوا كثيرًا من الاستخفاف بالعادات والتقاليد الاجتماعية، فعلى سبيل المثال لم يكن ديوجين الكلبى يهاب أحدًا، أو يخشى شيئًا فلم يكن له ما يفقده سوى حياته" وقد ضاعت حياتي - كما يقول - منذ اليوم الذي ولدت فيه، فالمسألة عندي سيان سواء استوفيت أجلي الآن أم فيما بعد."^(٣) و كان انتستائيس شجاعًا مكتفياً بذاته، يقول عنه كسينوفون تلميذ سقراط أيضًا: إنه أعذب الناس طرًا في طلاوة أحاديثه، وأنه أكثرهم اعتدالاً وضبطاً للنفس^(٤)، مع اعتدائه بنفسه

- تسبب المعاناة والعذابات الأحكام الكاذبة، والتي هي سبب الانفعالات السلبية والشخصية الشريرة، وعلى هذا الأساس فإن الكلبى لا يملك ملكًا، ويرفض كل

(١) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٣٨.

(٢) حمادة أحمد علي: نزعة التنوير عند الكلية، ج ٢، المجلة العلمية بكلية الآداب بطنطا، العدد ٣٦، ٢٠١٩، ص ١١٩١.

(٣) هنري توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ص ١٢٨.

(٤) ديوجين اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، الجزء الثاني، فقرة ١٤، ص ١٩.

صور الثروة والأموال والشهرة والسلطة والسمعة^(١). ويتطلب العيش وفقاً إلى الطبيعة، تلبية الضروريات الوجودية فقط، وأن يصبح الإنسان متحرراً عن طريق تحرير النفس من الحاجات الناتجة عن التقاليد والعادات، ولهذا تبنى الكليون شخصية هرقل بطلاً مثاليًا لهم (وهو بطل إلهي وفقاً للأسطورة اليونانية، وهو ابن رب الأرباب زوس)^(٢).

نتائج الدراسة :

- ١- إن هدف الحياة هو السعادة، والتي تتحقق عن طريق العيش وفقاً للطبيعة
- ٢- تعتمد السعادة على الاكتفاء الذاتي، والسيطرة على الميول العقلية.
- ٣- إن إنجاز الاكتفاء الذاتي هو أن يعيش الإنسان حياة.

(1) Anthony A. Long: The Socratic Tradition: Diogenes, Crates, and Hellenistic Ethics, in The : Cynics The Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy , Ed by: R. Bracht Branham , University of California Press , 1996. Pp. 28-29.

(2) Carl Kerényi :The Heroes of the Greeks, Thames & Hudson, London,1997 p.50.

المراجع

المراجع العربية

- ١- اندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الثالث ، تعريب خليل احمد خليل ، منشورات عويدات، بيروت -باريس، ٢٠٠١م.
- ٢- عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي: كتاب الزهد للأمام وكيع بن الجراح، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٩٨٤م
- ٣- ولتر ستيس : (تاريخ الفلسفة اليونانية) ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٤م.
- ٤- ثناء جمال الدين: السعادة عند أرسطو، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة أسيوط، ٢٠١٠م
- ٥- ديوجين اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثاني، الكتاب السادس، فقرة ٥٠.
- ٦- هنري توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة متري أمين، مراجعة زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤
- ٧- حمادة أحمد علي: نزعة التنوير عند الكلية، ج ٢، المجلة العلمية بكلية الآداب بطنطا، العدد ٣٦، ٢٠١٩.

المراجع الانجليزية

- 1- Leo Strauss & Joseph Crapsey: History of political philosophy, The University of Chicago press, London, 1987
- 2- Anthony A. Long: The Socratic Tradition: Diogenes, Crates, and Hellenistic Ethics, in The : Cynics The Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy , Ed by: R. Bracht Branham , University of California Press , 1996.
- 3- Carl Kerényi :The Heroes of the Greeks, Thames & Hudson, London,1997

